مجلة المعجمية - تونس

ع 8

1992

افتتاحية

المصطلحيّة وعلمُ المعجم

بقلم : إبراهيم بن مراد

1 ـ «المصطلحية» ـ أو «علمُ المصطلح» ـ مبْحث لسانيّ حديث قد أدّى إليه النظرُ المعمّقُ في المصطلحات، وخاصّة المولّدة للتعبير عن المستحْدَث من المفاهيم والأشياء في مختلف العلوم والتقنيات. فهو إذن مبْحث تال في الظهور للمادة التي يبحث فيها، أي المصطلحات العلمية والفنيّة؛ فإن هذه قديمة في الثقافات الإنسانيّة، وخاصّة في الثقافتيْن اليونانيّة والعربيّة. وقد أولعَ المحدثون بهذا المبْحَث ـ وخاصة في النصف الثاني من هذا القرن ـ فبحثوا في أسسه النظرية والتطبيقية وفي علاقاته بغيره من المباحث والعلوم، وفي المباحث الفروع التي يتألف منها وخاصة مباحث التوليد (Néologie) والمفاهيم (Conceptology) والتقييس (Normalisation) والتكنيز المصطلحي، أي وضع المكانز (Thésaurus)، سواء بتأليف المعاجم العلميّة والفنيّة المختصّة أو بالتخزين في الحوَاسيب(1)، إلا أنهم اختلفوا في صلته بعلم المعجم. فإن منهم من يعُدّ المصطلحيّة علما مستقلا بذاته لما يراه من مظاهر اختلاف بينه وبين علم المعْجَم(2)، ومنهم من يرى الفصل بين الاثنين فصْلا مُصطنعا، ويرى في المصطلحية امتدادا لعلم المعْجم(3)، لكن المذهب الأول أقوى.

---

(1) ينظر حول المصطلحية وقضاياها النظرية والتطبيقية: Guilbert (Louis) : La Créativité lexicale, Larousse, Paris, 1975 (285) p.); Rey (Alain) : La Terminologie : Noms et Notions, P.U.F. Paris, 1979 (128 p); Felber (Helmut) : Terminology Manual, Unesco-Infoterm. Paris, 1984 (426 p). (وفيه قائمة ببليوغرافية موسعة، ص ص 403ـ426)؛ الحمزاوي (محمد رشاد): المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 (186 ص).

(2) ينظر خاصة Felber في المرجع المذكور، ثم: Rey (Alain) : La Terminologie : réflexions sur une pratique et sur sa théorie, in : Terminologies 76, Afterm. La Maison du Livre. Paris, 1977 pp. V. 14-40; Idem : Définition de la terminologie en tant que discipline linguistique autonome. Etat de la situation, in : Actes du 6è colloque international de terminologie, Office de la Langue Française. Editeur Officiel du Quebec. Québec, 1979, pp. 229-257.

(3) ينظر مثلا: Guilbert (Louis) : Lexicographie et terminologie, in : Terminologies 76, pp. V.1 - 14; Dubois (Claude) : La spécialité de la définition en terminologie, in Actes du 6e colloque international de terminologie, pp. 45-59.

2 ـ والمصطلحيّة في نظرنا فرع من علم المعجم نسمّيه أيضا «المعجمية المختصة». فإن علم المعْجم يتكوّن من فرعين كبيرين هما «المعجمية العامة» ـ وقوامها ألفاظ اللغة العامة ـ و«المعجمية المختصة» وقوامها المصطلحات. ويقوم كل فرْع من الفرعين على قُرَيْعَيْن هما النظريّ والتطبيقيّ. فإن في المعجمية العامة مبحثا نظريًا يوافق ما يسمّى Lexicologie موضوعه البحث في الوحدات المعجمية من حيث مكوّناتها وأصولها واشتقاقها ودلالاتها ، ومبحثا تطبيقيًا يوافق ما يسمى Lexicographie، موضوعه البحث في الوحدات المعجمية من حيث هي مداخل معجمية تُجمعُ من مصادر ومستويات لغوية مّا، ثم توضع في كتاب ـ هو المعجم المدوّن ـ بحسب منهج في الترتيب وفي التعريف معيّن؛ وفي المعجَميّة المختصة مبحث نظري يوافق ما يسمىTerminologie، موضوعه البحث في المصطلحات من حيث مكوناتها ومفاهيمها ومناهج توليدها، ومبحث تطبيقي يوافق ما يسمىTerminographie، وموضوعه البحث في المصطلحات من حيث مناهجُ تقييسها، ومناهج تكنيزها، جمعًا ووضْعًا. وإذن فإن علم المعجم يقوم على معجمية عامة نظرية وتطبيقية، ومعجمية مختصة نظريّة وتطبيقية(4).

3 ـ ومنطلقنا في التصنيف الذي اتّبعنا هو خضوع الوحدات المعجميّة للتصنيف بحسب التعميم والتخصيص. فإنّ الوحدة المعجميّة إما أن تكون عامة وإمّا أن تكون مخصصة. فإذا كانت عامة كانت لفظا لغويا عاما(Mot) منتميا إلى الكلام العام (Vocabulaire général) ، قابلا لاكتساب خصائص معيّنة مثل الدلالة الإيحائية (Connotation) والاشتراك (Polysémie) والوظيفة الأدبية، وإذا كانت مخصصة كانت مصطلحا (Terme). والمصطلح نوعان: فهو إما علمي وهو ما استعمل في العلوم المحْض، وإما فنيّ وهو ما استعمل في العلوم الانسانية، وهذا النوع وسط بين اللفظ العام والمصطلح العلمي. والمصطلح ـ سواء كان علميًا أو كان فنيا ـ مكتسب لخصائص معيّنة تميّزه عن اللفظ اللغوي العام، أهمها ذاتية الدلالة(Dénotation)، وأحاديّتها، وخصوصيّتها، والانتماء إلى حقل مفهوميّ قابل للضبط والتحديد،

(4) لا تزال قضية الاصطلاح على مباحث علم المعجم قائمة، وليس من غايتنا هنا أن نبت فيها. فقد سمّيت المعجمية العامة النظرية علم المفردات، ولفاظة، ومعجمية، وسميت المعجميّة العامة التطبيقية صناعة المعاجم، وصناعة معجمية، وقاموسية، ومَعجميات، ومعجمية. وصناعة المعجم، وعلم المفردات التطبيقي. ينظر : رمزي بعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، 1990 (806 ص)، ص 53 وص 283؛ وسمّيت المعجمية المختصة النظرية مصطلحية (ينظر : محمد حلمي هليّل وسعد مصلوح: النظرية العامة للمصطلحية (ترجمة)، مجلة المعجمية، 2 (1986)، ص ص 125ـ136؛ بعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية، ص 501)؛ وسميت المعجمية المختصة التطبيقية تدوين المصطلحات (ينظر هليّل ومصلوح في المرجع المذكور، ص 126) ، والمعجمية المصطلحية (ينظر بحث محمد حلمي هليّل في هذا العدد من مجلة المعجمية، ص 161).

وقابليّة التعريف المنطقي.

4 ـ على أن خاصية التعميم في اللفظ وخاصيّة التخصيص في المصطلح لا تمنعانها من الاشتراك في جملة من الخصائص التي توحّد بينهما، وأهمها ستّ، الأربع الأولى منها ضرورية، فهي واجبة الوجود لأنها المكوّنات الأساسية للوحدة المعجمية، والخامسة والسادسة أساسيّتا الوجود، لكنهما لا تظهران في كل الوحدات المعجمية. والخصائص الستّ هي :

4 ـ 1 : الانتماء المقولي : أي الانتماء إلى إحدى المقولات المعجمية (Catégories lexicales)(5). وهي صنفان : الأوّل هو صنف «المقولات المعجمية التامة» وتتكون من الأسماء والأفعال والصّفات والظروف؛ والثاني هو صنف «الوحدات المعجمية غير التامة» وتتكون مما نسمّيه ـ على التعميم ـ «الأدوات النحوية» وتشمل «الحروف» بمختلف أنواعها والضمائر وأسماء الإشارة وأسماء الموصول والأفعال الناقصة. وهذه المقولات كلها «وحدات صرفية»، لكن مقولات الصنف الأول «وحدات صرفية معجمية» (Morphèmes lexicaux)، ومقولات الصنف الثاني «وحدات صرفية نحويّة» (Morphèmes grammaticaux) . ولا تخرج الوحدة المعجمية عن إحدى مقُولات الصنفين. لكن تواتُر الأفعال والصفات والظروف في الوحدات المعجمية العامة أغلب، وتواتر الأسماء في الوحدات المخصصة أظهر، وذلك لقيام الكلام العام على كل أنواع المقولات المعجمية، وقيام الاصطلاح على المقولات الاسمية، فإن الاصطلاح يحصل من الانتقال باللفظ من التعميم إلى التخصيص، والاسماء من بين أنواع المقولات المعجمية أقبلُ لذلك الانتقال، وهي على اكتساب المفاهيم أقدر. وأما الأدوات فألفاظ لغوية عامة، لكنها قد تستعمل في التسمية فيجوز أن تصبح أسماء فمصطلحات، وقد يشتق منها أيضا مثلما يشتق من الاسم والفعل وتُتّخذ مشتقاتها في الاصطلاح، مثل اشتقاق «الكميّة» و«المائيّة» من «كَمْ» و «مَا» الاستفهاميتين.

4 ـ 2 : التأليف الصوتي : فإن اللفظ والمصطلح يتألفان من أصوات هي التي تكوّن لكلّ منهما صيغته الفنولوجية (Forme phonologique). وتأليف كليهما الصوتي مخضع لقوانين التأليف الفنولوجي، مثل قانون التعاقب الصوتي أي تتابع الوحدات الصوتية في الوحدة المعجميّة، كأن لا يتتالى في العربية ثلاثة صوامت متماثلة، وأن لا يتتالى فيها صامتان ساكنان.

---

(5) هي «أقسام الكلام»، والتصنيف الذي سنذكر هو الغالب في اللغات الأوروبية الآن. أما العربية فأقسام الكلام التقليدية فيها ثلاثة: هي الاسم والفعل والحرف، ويندرج في قسم الأسماء فيها الصفة والظرفُ واسم الإشارة واسم الموصول والضمير.

4 ـ 3 : البنيـة الصرفيّة : وهي إما بنية مطلقة، كالبنيـة في اللغـات الهنـديـة الأوروبية، وإما بنية مقيّدة، كالبنية في اللغات السامية. والبنيـة المطلقـة تقـوم على أسّ ثابت (Radical) تزادُ إلى أوّله السوابق(Préfixes) وإلى آخره اللواحق (Suffixes) زيادة غير مقيّدة لتوليد وحدات معجمية جديدة. فهي إذن تكوّن بنوع من التركيب يتمّ بإلصاق زوائد (Affixes) ـ هي في الغـالب وحـدات صرفيـة دالّة ـ بـالـوحـدة الصرفية (Morphème) الأساسية. وكلما أضفنا إلى الوحدة المعجمية سابقـة أو لاحقـة ولدنا وحدة معجمية جديدة؛ ذات دلالة جديـدة؛ والبنيـة المقيـدة تقـوم على جـذر (Racine) مؤلف من صوامت محددة العدد تكون في «الوحـدات الصرفيـة المعجميـة» اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة لا أكثر، وتصاغ من هذا الجـذر المشتقـات بـأن تـزاد إلى أوله السوابق وإلى وسطـه الـدواخـل (Infixes) وإلى آخـره اللـواحق زيـادة مقيّدة بشروط تلحق المشتقات بأوزان معلومة مُـحَدَّدَة لأنماط صِيَـغيـّة قد يكون لها دور في تحديد دلالة الوحدة المعجمية.

على ان الغالب على اللفظ أن يكون وحدة معجمية بسيطة. بينما المصطلح يكـون وحدة معجمية مركبة، ووحـدة معجميّة معقّدة. والـوحـدة المعجميـة البسيطـة هي «المفردة» ذات البنية الأصلية الموحـــدة، ومثـالها «كتَبَ» و «استكْتب» و «كتـاب» و«مكتبة»، ونسمي وحدات مُعجميّة بسيطةً المنحوتات أيضا، ومثالها «بسْمَلَ» ـ من بـاسم الله ـ و«عَبْشَمِيٌّ» ـ من عبـد شمْس ـ و«شبْلَوْريّ» من شبْه بـلْوري. وأمّا المـركّبـة والمعقّدة فنعْنيَ بهـا غير مـا يـدلّ عليـه مَصطلَحـا"Lexème complexe" و"Lexème composé" في اللسانيات الحديثة(6). فالوحدة في نظرنا تكون مركّبـة إذا تكوّنت من عنصرين تامّين، سواء بالتركيب الإضـافي ـ ومثـالـه «سيْفُ الغـراب»، وهـو اسم ثبـات ـ أو بـالتركيب المـزجي ـ ومثـالـه «شـذَرَ مَذَر» ـ أو بـالتركيب الإسْـناديّ، ومثـالـه «الـلاّلـوْنيّة الطُّفيْليّة»، وهـو إسم مَرَض؛ وتكـون مُعقـدة إذا تكونت من أكثر من عنصرين، أي إنها متعددة الأبنيـة، ومثـالهـا «أمُّ وجَع الكبد»، وهو اسم نبات، و«التهاب الغشاء الزلاليُّ الحادّ»، وهو إسم مَرَض.

---

(6) يُعْنى بـالـوحـدات المعجميـة المعقّدة (Lexèmes complexes) المشتقـاتُ (Dérivés)، ومثالها "Friendly" و "respectable"، ويُعنى بالوحدات المعجمية المركبة (Lexèmes composés) ما تكون من عنصرين تكوّن غير اشتقاقي، ومثـالـه "country house" [منـزلُ ريف] و "timbre-poste" [طابَعُ بريد]، أما إذا زاد عدد العناصر الأصليـة على الاثنين فـإن الـوحـدة تُسمى "expression" و"Locution" و"unité syntagmatique"، ومثالها "missile à tête nucléaire" [صـاروخ ذو رأس نـوويّ] ـ ينظر خاصة: Guilbert (Louis) : La Créativité lexicale, pp. 249.278; Lyons (John) : Sémantique linguistique, Larousse, Paris, 1980 (496 p.) pp. 151-78; Lerot (Jacques) : Précis de linguistique générale. Ed. de Minuit, Paris, 1993 (446 p.) pp. 343-376. ، بعلبكي (رمزي) : معجم المصطلحات اللغوية، ص 107 (complex word)، وص 109 (compound word)

4 ـ 4 : الدّلالة : الوحدات المعجميّة من حيث هي «صيغٌ» رُمُوزٌ لغويّة ـ أو « أدلّة» ـ يستعملها المتكلّم المُنْتمي إلى جماعة لغويّة مّا في التعبير عن الظواهر في واقعه الواقعي، أي الواقع المدرك بالحسّ، وعن البواطن في واقعه الحقيقي، أي الواقع المدْرك بالذهن. ولم يُلْهَم المتكلّم تلك الوحدات إلهاما، وليست هي كائنة فيه بالفطرة، بل هي «مُواضعات» أو «مَوْضوعَات» متحصّلةله من تجربته في الكون، قد اكتسبها اكتسابا. وهو بعد أن يكتسبها ـ بحسب تقدّم تجربته ـ يستطيع استعمالها في تكوين الجمل المفيدة. وهذه الخاصيّة الاكتسابية في تحصّل الوحدات المعجمية للمتكلم مهمّة لإثبات الصلة بين الوحدة المعجميّة والكون، فإن المتكلم إنما يستعملها بعد اكتسابها بين الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها، وهي في استعمال تلك الجماعة دال (Signifant) من اللغة إلى موجود من خارج اللغة، ذي حيّز مّا في أفهام أفراد الجماعة. وترتبط الوحدات المعجمية ـ وخاصة إذا كانت تامّة ـ بالموجودات إحدى علاقتين:

الأولى علاقة مرجعية لأن الوحدات تدلّ إلى الموجودات التي في الواقع وتُعيّنها، وهي إذن علاقة بين دالّ لغويّ ومدلول (Signifié) ذي وجود في الواقع، هو المسمّى مَرْجعًا (Référent). والمعنى المستفاد من هذه العلاقة يتنزّل في «الدلالة المعجمية العامّة». وهو إمّا معنًى عامّ تحمله الوحدة المعجمية وهي متفرّدة، وإما معنى سِيَاقيٌّ تحمله الوحدة المعجمية وهي في الجملة(7).

والعَلاقة الثانية علاقة غير مرجعية لأن الوحدات المعجمية لا تُرجعُ مباشرة إلى الموجودات في الواقع بل ترجعُ إلى مفاهيم. والمفاهيم وحدات دلاليةَ مستقلة عن دلالات الوحدات اللغوية ـ سواء كانت معجميّة أو تركيبية ـ مرتبطة بمقولات مفهومية هي أسماء أجناس كلية (Superordonnés) تشتمل على طوائف عامة، وهذه الطوائف تصنّف تصنيفا هرميّا بالتدرّج بحلقات التصنيف من أعلى الهرمية إلى أسفلها، أي من الكليّ إلى الجزئي، فيكون التدرّج من المقولة إلى الفرد مروراً بالطائفة والرتبة والفصيلة والقبيلة والجنس والنوع والضرْب. وقد تشتمل كلّ حلقة على حُلَيْقة أصغر منها يشار إليها بالتصغير، مثل «الطُّوَيْفة» و«الرُّتَيْبة». ونُمَثل الهرمية بمثال من عالَم الحيوان، هو الطّير المسمّى «شُحرور مغربي» (Turdus merula mauritanicus) (8):

(7) مثال ذلك كلمة «نُقطة»، فإن معناها العام هو «علامة مستديرة صغيرة جدا على سطح مستَوٍ». وهي بمعنى «العلامة الصغيرة تجعل فوق الحرف وتحته لتميز» في قولنا: «وضع على الحرف نقطة»، وبمعنًى « العلامة من علامات الترقيم» في قولنا «وضع للنص نقطه»، وبمعنى «القطعة» في قولنا «ليس في الأرض نقطة من كلا»، وبمعنى «الأمر والقضية » في قولنا: «اختلف العالمان في نقطة».

(8) اعتمدنا في هذا التصنيف على : أمين المعلوف: معجم الحيوان، القاهرة، 1932 (271 ص)، ص 252؛ مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية، ط . 3، بيروت، 1982 (694 + 98 ص)، ص 422 و659؛ Etchecopar (R.D.) et Hüe (F) : Les Oiseaux du Nord de l'Afrique, Ed. N. Boubée.

المقولة : طير.
الطائفة : جؤجئي.
الرتبة : جاثم .
الرتيْبة : مشروم المنقار.
الفصيلة : شحرُوري.
الجنس : تُـرْد.
النوع : شحْرور.
الضرب : شحرور أسود.
الفَرْد : شحرور مغربيّ.

والمفاهيم إذن كلّية وجزئية بحسب التدرج من أعلى الهرميّة إلى أسفلها في تصنيف حلقات المقولات. والجزئيات الواقعة بين المقولة والفردْ هي كليات لما تحتها لأنها محتوية عليها ومتضمنة لها. والأفراد ـ أي الجزئيات الدنيا ـ هي المفاهيم الدنيا، وهي وحدات مفهومية أساسيّة ذاتُ مضامين دلاليّة متكوّنة من جملة الخصائص التي تتّصف بها حلقات المقُولة، أي الجزئيات المتفرّعة عنها. وهذه الخصائص نوعان: (أ) خصائص تمييزية واجبة الوجود، لا تقبل النقض، كأن نقول إنّ «الخروف غنَميٌّ» وإن «الذئب كلْبيٌّ»، (ب) خصائص نمطيّة تُستبان بالتجربة وتقبلُ الاستثنَاء، كأن نقول إنَّ «الخرُوف عاشبٌ» ـ من آكلات العُشب ـ وإن «الذئب لاحمٌ»، أي من آكلات اللحوم.

والنوع الأول في الأفراد أكثر، فإن الجزئيات كلما ترقّت نحو الكُلّيّ قلّتْ خصائصها، وكلّما نزلت نحو الفرد كثرت خصائصها، ولذلك كان الفردُ أجمعَ للخصائص المشتركة. (فكلّ شحرور مغربي تُرْدٌ، وليس كُلّ تُرْد شحرورا مغربيا، وكلّ تُرد مشرومُ المنقار، وليس كلّ مشروم المنقار تردًا).

وهذا الفرْقُ بين مفهوم المقولة ومفهوم الفرد يُنْتَهَي إليه بالتدْريج من التعميم إلى التخصيص. والتعميمُ هو توسيعُ الدلالة، والتَخصيص هو تضييقها. وكلما ازداد المفهوم توسيعا ازداد تعميمًا وتقلّصت «دلالته المفهومية» واكتسبت الوحدة المعجمية التي يعبّرُ بها عنه صفات اللفظ اللغوي العام ذي «الدلالة المعجمية» العامة، وكلما ازداد تضييقا ازداد تخصيصا واكتسبت الوحدة المعجمية التي يُتواضع بها عليه صفات

= Paris, 1964 (606p.) pp. 413-414. واسم الجنس هنا «تُرد» من اللاتينية "Turdus"، وهو مستعمل في تونس، وقد رسمه أمين المعلوف «طرْدي»، و فضّلنا التسمية التونسية لشهرتها، ونشير أيضا إلى أن تسمية الضرب بالشحرور الأسود من صفة السواد في الذكر. أما الأنثى فتغلب عليها السمرة.

المصطلح، وأهمها الدقة والخصوصية.

4 ـ 5 : التفرّد : نعني بالتّفرُّد قابليّة الوحدة المعجمية للانفراد بأن تتّخذ لها في نظام اللغة حيّزا خاصّا بها، مستقلاّ عن السياق، أي عن الجملة. فإن كثيرين من اللسانيين المحدثين يرون في «الجملة» الوحدة اللغوية الأساسية، ويرون في الوحدة المعجمية مجرّد مكوّن من مكوّناتها مرتبط بها دلاليا، لأن السياق هو الذي يحدد معناها؛ فالوحدة المعجمية إذن لا يمكن لها أن تنفرد بحيّز دلالي خاصّ بها خارج السياق، ولا يمكن لها أن تكون ذات وجود حقيقي خارج الجملة.

وهذا المذهب غير مستقيم، وذلك لأسباب :

(أ) لأن الوحدة المعجمية «مدخل معجمي» قبْل أن تكون مُكوّنا من مكونات الجملة، أي إنها موجودة في المعجم قبل أن توجد في التركيب النحوي. ولا يمكن لها أن تنتظم في التركيب النحوي ما لم يكن لها وجود حقيقي في المعجم، وهذه الخاصيّة تجعلها قابلة للتصنيف الجدولي، إما بحسب صيغتها وإما بحسب مضمونها الدلالي. ومتى صنّفت اكتسبت «ماهية» تمكنها من التفرّد.

(ب) لأن منطلق أصحاب المذهب المذكور الوحداتُ المعجميةُ العامّة ـ وهي التي تكثر في اللغات الطبيعية ـ دون اعتبار الوحدات المعجمية المخصصة، أي المصطلحات. فإن ألفاظ اللغة العامّة هي التي أقام عليها المحدثون جُل نظرياتهم اللسانية. ومن خصائص هذه الألفاظ قبول الاشتراك. وإذا كانت من المشترك تعددت معانيها في الاستعمال وأحوج التمييز بين تلك المعاني إلى تبينها من خلال ورود الوحدات المعجمية في شواهد وأمثلة. على أن تعدد معاني الوحدة المعجمية مرحلة تالية لمرحلة أسبق هي «الأحادية الدلالية» (Monosémie). فإن الاشتراك ـ أو التعدد الدلالي ـ يقوم في الأصل على «دلالة نواة» هي المسماة بالمعنى الحقيقي، وبقية الدلالات تكون دلالات لواحق مولّدةً بالمجاز، هي المسماة بالمعاني المجازية. والوحدات المعجمية إذن قد تحمّل مضمونين دلاليّيْن: الأول نتاج معجمي، وهو ثابت يستفاد من المعنى الحقيقي، وخاصيته الاستقلال عن السياق، والثاني نتاج تركيبي (Compositionnel) يستفاد من المعنى المجازي، وخاصيته الارتباط بالسياق. على أن هذه الثنائية تبطل في الوحدات المعجمية المخصصة، لأنها تحمّل مضمونا مفهوميا ثابتا تختص به فتدقّ حتى تستعصي ـ في المبحث الواحد على الأقل ـ على الاشتراك وتصير أحاديّة الدلالة، قائمة بذاتها خارج أي سياق.

(ج) لأن للوحدات المعجمية بصنفيها خصائص ضرورية تمييزية واجبة الوجود هي التي ذكرناها، أي الانتماء المقولي، والتأليف الصوتي، والبنية الصرفية، والدلالة. وهذه الخصائص تتيح للوحدات المعجمية أن تتمايز فيما بينها حسب أنساق

معينة من العلاقات الاختلافية، وهذه العلاقات تكون إما مقُوليّة، مثل العلاقة بين «قَبَلَ» [+ فعْل] و «قَبْلٌ» [+ اسم] و «قَبْلَ» [+ ظرف]؛ وإما فُنيميّة، مثل العلاقة بين «قُبْلَة» وَ «قبْلَة»:

● فإن [/ قُبْلَتُنَ/ ≠/ قِبْلَتُنَ/] لأن [/ ـُـ/ ≠/ ـِـ/] ، والعلاقة بين «بطش» و«غَطَش» :

● فإن [/ بَطَشَ / ≠/ غَطَشَ/] لأن [/ ب/ ≠/ غ/]؛

وإما صرفية، كالعلاقة بين «قَابَلَ» [+ فعْل مزيد بحرْف] و «قابلة» [+ اسم فاعل] و «قَابُول» [+ صيغة مبالغة] و«قابليَّة» [+ مصدر صناعي]؛ وَإما دلاليّة، كالعلاقة بين «قَبَلَ» (= أتى) و«قَبِلَ» (= رَضِيَ) و «قَبُلَ» (= صار كفيلاً). والخصائص الأربَعُ إذَن تجْعَل التفرُّدَ في الوحدة المعجَمية خصيصةً نمطيةً أساسية، ولولا بعْض المؤثرات الدلالية ـ مثل الاشتراك والترادف والجناس ـ لكان التفرّدُ فيها خصيصة تمييزية ضرورية واجبة الوجود.

4 ـ 6 : التولّد :ذكرنا فيما سبق أن الوحدات المعجمية «مُوَاضَعَاتٌ» أو «مَوْضُوعات» منحصِّلة للمتكلم من تجربته في الكون. وهذه «الخاصيّة الاجتماعية» في اكتساب الوحدات المعجمية وفي استعمالها تكسب المعجم خاصيّة التطور. فهو أقلّ نظم اللغة خُضوعا للقيود لأن تلك النظم ـ بحكم قيامها على عناصر لغوية أساسية تربطها شبكات من العلاقات داخل نظام اللغة ـ تتّصف بالاستقرار أو بالتحول البطيء. أما المعجم فمبنيّ على وحدات متأسسة على رُكنين لهما امتداد في الواقع هما «الدّال» و«المدلُول». فإن «الدّال» ـ وهو رمز لغويّ محض ـ لا يتحقق إلا من صلته بالمدلول من حيث هو مُرْجعٌ إلى الموجود الواقعي أو من حيث هو مرجعٌ إلى مفهوم، وليس من صفة الدوالّ والمدلولات الاستقرار لأنها قد تُنْقَلُ من «مَوَاضعها المعجمية» فتحوّلُ دَوَالَّ عَنْ مدْلولاتها الأصلية أو تحوّل مدْلولاتٌ عن دوالّها الأصليّة وتستَدُّ إلى غيرها. بل قد تَبْلَى دَوَالُّ ومدلولاتٌ ببلَى المراجع (Référents) التي ترتبط بها، فتصبح ـ إذا كانت مُدوّنة ـ معالم تاريخيّةً ذوات أحيَاز منسيّة في بطون المعاجم التي دوّنت فيها ألفاظ اللغة في فترة أو فترات مّا من تاريخها. وتحويل الدوالّ والمدلولات عن مواضعها وبلاها مؤديّان إلى تولّد وحدات معجمية جديدة. فإن التّحْويل نفسه توليد. وأما البلَى فغالبا ما يسبّبه تطورُ واقع الجماعة اللغوية، لأن التطوّر يُسقطُ أنماطا من الموجَودات والمفاهيم ويُولّد أنماطا جديدة، وما يُسقط تسقُط تسمياته من الاستعمال، وما يولّد تولّدُ له تسمياتٌ جديدة.

والتوليد في الوحدات المعجمية نوعان: الأول نسمّيه «توليدا عفويا» وهو توليد

غير مقصود لذاته، يحدثه أفراد الجماعة اللغوية، ويغلب في مستوى اللغة الشفوي، وفي ألفاظ اللغة العامة؛ والنوع الثاني نسميه «توليدا اصطناعيا»، وهو توليد مقصود قد يحدثه الأفراد ولكنه كثيرا ما يكون من عمل المجموعات والمؤسسات، وهو يغلب في مستوى اللغة المكتوب، وفي الوحدات المعجمية المخصصة، أي المصطلحات. وهذا النوع الثاني هو المُنَظَّمُ بقواعد، وباستعمال وسائل منهجية فيه دقيقة، على أن النوع الأول لا يقل في الحقيقة عن الثاني تنظيما، والوسائل المنهجية المعتمدة فيه تكاد تكون هي نفسها المعتمدة في الثاني. والمهم منها ثلاثة أنواع(9) :

الأول هو التوليد بالتغيير الصوتي. وأكثر ما يكون عفويا، أي إن أكثر حدوثه في ألفاظ اللغة العامة، وخاصة في مستوى اللغة الشفويّ. ومنه في العربية نماذج كثيرة يبدو أنها راجعة ـ في الفصحى ـ إلى عصور ما قبل التدوين، ونخص بالذكر من تلك النماذج ضربا غير مدروس من «التباين» (Dissimilation)، وهو ضرب لا يكون بنزوع أحد الصامتين المتماثلين المتتابعين بالتضعيف إلى التخالف ـ مثل [قُبَّرَة] ← [قُنْبُرَة] و [كُرّاسٌ] ← [كُرَّنَاسٌ] ـ بل يكون بنزوع أحد الصائتين المتتابعين ـ وخاصة إذا تماثلا ـ إلى التخالف بأن يصبح ثانيهما سكونًا تصحبه ظاهرتان: (أ) إدخال صامت جديد في التأليف الصوتي، وهي ضرورية؛ (ب) إفادة الصيغة الجديدة معنًى جديدا، وهي مطردة. ومن أمثلة هذا التباين في الفصحى(10):

(1) [+ ع 2]: بثق (الماء) : اندفع فجأة.
تبعثَقَ (الماءُ) : تدفّق من الحوض.

(2) [+ ي 2]: بقر : شقّ وفرّق.
يَبْقر : هاجر من أرض إلى أرضٍ.

(3) [+ ر 4]: شمخ : ارتفع.
شَمْخَرَ : تكبّر.

---

(9) قد تعمدنا إهمال «الارتجال» لندرته في العربية وتندرج فيه بعض الظواهر مثل المحاكاة والإتباع، والاقتراض المعجمي للاعتماد فيه على لغة ثانية وليس على اللغة الطبيعية المدروسة؛ و«المَعْجَمَة» (Lexucalisation) ـ أي توليد وحدة معجمية من تعبير ـ لتوزّعه على وسائل أخرى، مثل الاشتقاق والنحت.

(10) تنظر أمثلة من هذا التباين في الفصحى في : Fleisch (Henri) : Traité de philologie arabe, 2ème éd., Dar el-Machreq. Beyrouth 1990 (2 volumes), 2/439-445 ، ولم يجد المؤلف لهذه الظاهرة تفسيرا، وقد عُنينا بهذه الظاهرة في العربية التونسية وذكرنا منها أمثلة كثيرة من عربية نفزاوة (بالجنوب الغربي التونسي) في مقدمة كتابنا «الكلم الأعجمية في عربية نفزاوة» (مخطوط، ص ص 91-94)، وقد بيّنا أن الزيادة تقع في صدر الصيغة الثلاثية (مثل «دعفس»، من «عفس») وفي وسطها ـ وأكثر ما يكون الصامت الزائد ثانيا ـ (مثل «خَرْنَن» من «خنن») وفي آخرها (مثل «مرْغِد» من «مَرَغَ»).

(4) [+ س 4]: خَلَب : خدَع.
خَلبسَ : فتَنَ.
(5) [+ م 4]: حصَرَ : استَوعَبَ.
حَصْرَمَ : ملأ [القربة].

ويلاحظ أن هذا الضرب تستعمل فيه الصوامت الزائدة دون تقيد بموقع ثابت لها أو بنوع محدد منها، ويبدو لنا أن لهذا الضرب أهمية كبرى في توليد الصيغ الرباعية من الثلاثي في العربية بمستوييها الفصيح القديم والعامي الحديث.

والنوع الثاني هو التوليد بالتغيير الصرفي، وهو ضربان :

(أ) بالاشتقاق : أي بصوغ وحدة معجمية جديدة ذات بنية صرفية ـ مقيّدة أو مطلقة ـ من أصل فعلي أو إسمي أو وصفي أو ظرفي أو أداتي. وأقوى الأصول الإسميّة والفعليّة. والمشتقات الاسمية (Derivés dénominatifs) والمشتقات الفعلية (Dérivés déverbaux) تكون أسماء وأفعالا وصفات وظروفا، والمقولات المعجمية الأربعة متواترة في ألفاظ اللغة العامة، أما المصطلحات فتندر فيها الأفعال والظروف، وتطرد الأسماء والصفات.

(ب) بالنحت : أي بصوغ وحدة معجمية جديدة بسيطة من وحدتين بسيطتين أو أكثر، ولم يكن للنحت في العربية في القديم شأن يذكر، فإنه يندر في ألفاظ اللغة العامة ويكاد ينعدم في المصطلحات. وقد أكسبه المحدثون قدرة توليدية واعتمدوه في وضع المصطلحات، وخاصة في الوحدات الاسمية.

والنوع الثالث هو التوليد بالتغيير الدلالي. وهو ضربان :

(أ) بالمجاز، أي بأن يُنتقل بوحدة معجمية مّا من دلالتها الأصلية التي وضعت لها في أصل استعمالها إلى دلالة جديدة إما بتوسيع الدلالة الأصلية توسيعا مؤديا إلى التعميم وإما بتضييقها تضييقها مؤديا إلى التخصيص. على أن الدلالة الجديدة غالبا ما يكون بينها وبين الدلالة الأصلية علاقة أو قرينة ظاهرة، فالمجاز إذن هو إسناد دال مّا أصلي إلى مدلول محدث. وقد كان هذا الضرب من التغيير ولا يزال من أقوى وسائل توليد الوحدات المعجمية بنوعيها : العامة والمخصصة.

(ب) بالترجمة الحرفية، أو النسخ : والترجمة الحرفية ضرب من الاقتراض دلاليّ ينتقل فيه المدلول دون الدّال من لغة مصدر إلى لغة مورد، أي إنها تكون بإسناد مدلول غير أصلي ـ لأنه مقترض ـ إلى دالّ مُحدث في اللغة المقترضة. وقد كان لهذا الضرب من التوليد أثر مهم في العمل المصطلحي العربي القديم، وخاصة في ما سميّ «العلوم الدخيلة»، لكننا لا ندري هل كان له أثر في ألفاظ اللغة العامة. أما العربية الحديثة فإن تأثيره فيها كبير، سواء في ألفاظ اللغة العامة

أو في المصطلحات(11).

5 ـ والخلاصة أن الوحدة المعجمية إما أن تكون عامة، فهي لفظ، وإما أن تكون مخصصة، فهي مصطلح، وأن المعجم يكون عاما إذا كان قوامه اللفظ، ويكون مختصا إذا كان قوامه المصطلح. واللفظ والمصطلح فرعان لأصل واحد هو الوحدة المعجمية، وهذا «الأصل» هو قوام علم المعجم مثلما أن الجملة هي قوام علم التركيب. على أن المعجم ـ بصنفيه العام والمختص ـ لم يلق من الدرس اللساني الحديث حظًا، فإن المحدثين قد حاولوا الاهتمام بالمعجم اللغوي العام، لكن مخالفة المعجم لبقية نظم اللغة في تحوله قد جعلهم يعتبرونه صعب الإخضاع للنظام. فاللغة تعدّ نظاما إذا اتسمت مكوناتها بالاستقرار أو بالتحول البطيء. وهذه السمة هي الغالبة على بقية نظم اللغة لأن مجالات بحثها الأساسية هي العلاقات بين الرموز اللغوية ذاتها، أما المعجم فإن من مجالات بحثه الأساسية العلاقات بين الرموز اللغوية والموجودات، وهذه العلاقات غير مستقرة لأن من خصائص الموجودات التغير والتحوّل، بينما العلاقات بين الرموز اللغوية مستقرة أو هي تتحول تحولا بطيئا. وقد عُدَّ المعجم ـ لخاصية التحول فيه ـ «كشفا مفتوحا» غير قائم بذاته، بل هو مرتبط بنظم أخرى ـ وخاصة «علم الصرف» و«علم الدلالة» و«علم التركيب» ـ لا نستطيع أن نصفه إلا من خلال علاقاته بها(12). والمستفيد من هذه التبعية هو علم النحو. فإن كثيرين من المحدثين يعتبرون المعجم فرعا من فروع النحو ومكونا من مكوناته. بل إن منهم من يجعله «مُلحقا» به أو «ذيلا» (Appendice) له وظيفته أن يوفّر للنحويّ المعلومات الضرورية عن الوحدات المعجمية وعن صيغها(13). أما المعجم المختص فأسوأ حظا من المعجم اللغوي العام. فإن قيام البحث اللساني الحديث على مكوّنات اللغات الطبيعية ـ أي اللغة العامة أساسا ـ قد أخّر الاهتمام بالمُكَوِّن المعجمي المصطلحي، فلم يتّخذ المصطلح مجالا للبحث إلا في السنوات المتأخرة، لكنه فصل عن علم المعجم بتصور علم آخر قد جعل قوامه هو «علم المصطلح». وقد بينا انتماء هذا «العلم» إلى علم المعجم لأن مُكَوّنه الأساسي هو

(11) تنظر أمثلة من المولدات في العربية الحديثة بالوسائل التي ذكرنا ـ الصرفية والدلالية ـ في :
Monteil (Vincent) : L'Arabe moderne, Lib. Klincksieck. Paris, 1960 (386 p.) pp. 105-181.

(12) ينظر مثلا : Picoche (Jacqueline) : Précis de lexicologie française, Ed. F. Nathan, Paris, 1977 (180 p.) pp. 8-9; Garde-Tamine (Joelle) : La Grammaire, 1/ Phonologie, morphologie, lexicologie, Ed. A. Colin, Paris. 1990 (152 p.), p. 90 ، وهذه تعد النظم المذكورة كلها من علم النحو؛ وينظر أيضا «معجم المصطلحات اللغوية» لرمزي بعلبكي، فإن مصطلحات علم المعجم كلها منسوبة إلى علوم أخرى، وخاصة إلى النحو وعلم الدلالة واللسانيات العامة واللسانيات التطبيقية، ومنها ما عُدّ «مصطلحات مشتركة» ـ ينظر فيه خاصة: ص 149، ص ص 280ـ283، ص ص 500 ـ 501، ص ص 528 ـ 529.

(13) ينظر مثلا : Lyons (John) : Sémantique linguistique; pp. 145-147.

«الوحدة المعجمية» المكتسبة لخصائص عامة مشتركة بين «الوحدة المعجمية العامة» و«الوحدة المعجمية المخصصة».

ولا شك أن «سوء الحظ» سيبقى ملازما للمعجم ـ بصنفيه ـ ما لم يعمّق النظر في ماهيته ومكوّناته، ويجدد البحث في أسسه النظرية والتطبيقية. وهذا ما تحاول جمعية المعجمية العربية بتونس أن تقوم به سواء بما يقدّم في ندواتها الدولية والداخلية، أو بما ينشر في «مجلة المعجمية». وتخصيصها في هذا العدد ملفا للمصطلحية يتنزّل في تلك المحاولة.

ابراهيم بن مراد
رئيس التحرير